مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies
www.palestine-studies.org

مقابلة صحافية مع المهندس عصام عواد، أحد مهندسي لجنة إعمار المسجد الأقصى، في الذكرى الثالثة لحريق الأقصى يشرح فيه الوضع الذي آل إليه الجزء المحروق، وكيف يسير فيه العمل، ومتى يتم الانتهاء من العمل حتى يصبح هذا الجزء مستعداً لاستقبال المصلين*

١٩٧٢/٨/٢٠

هذا هو الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، مكان خالد. أقامه مقيم العدل على ظهر الأرض عمر بن الخطاب .. وأقام عنده صلاح الدين، وركز إلى جوار محرابه منبره. ليكون شاهداً للناس في كل جيل.

هذا هو الأقصى الذي جثت أمام عظمته الأجيال، وعلت لهيبته مواكب الرجال ..

هذا هو الأقصى .. وهو في أمجاده لا يحترق ..

وسيظل الأقصى قائماً مباركاً .. شامخاً كالطود راسخاً رسوخ الجبال.

وفي الذكرى الثالثة لحريق الأقصى كان لا بد لنا أن نعرف الوضع الذي آل إليه الجزء المحروق .. كيف يسير فيه العمل، ومن يعمل هناك .. ومتى يتم الانتهاء من العمل حتى يصبح هذا الجزء مستعداً لاستقبال المصلين.

وحتى نعرف الحقيقة كان لابد من أن نذهب إلى موقع العمل لننقل صورة صادقة عما يجري هناك.

نترك الحديث لواحد من المهندسين الذين يعملون في القسم الهندسي للجنة الإعمار السيد عصام عواد.

.كانت هنا لجنة إعمار مصرية، وهي التي قامت بإعمار مسجد الصخرة المشرفة، وكانت تخطط لإعمار المسجد الأقصى.

وفي عام ١٩٦٧ توقف عمل اللجنة المصرية وغادر أفرادها إلى بلادهم، فتم تشكيل لجنة محلية حتى تقوم باستكمال النواقص سواء في الأقصى أو في الصخرة.

كانت هذه اللجنة موجودة قبل الحريق وكانت مهمتها استكمال ما بدأه المصريون.

وعندما نشب الحريق، تم تأليف لجنة جديدة موسعة واستكملت هذه اللجنة جهازها الهندسي، وتولى المهندس إبراهيم الدقاق مهمة الإشراف على القسم الهندسي وكانت فكرته تقسيم العمل إلى مرحلتين، الأولى مرحلية، بقصد المحافظة على ما لم يصبه الحريق، فالسقف في الجهة الجنوبية الشرقية احترق في نفس الوقت الذي توجد فيه إنشاءات وزخارف دقيقة وفنية تؤثر عليها العوامل الجوية الطبيعية، فكان من الضروري بناء سقف مؤقت لحفظ ما بقي، وفعلاً تم تنفيذ ذلك.

بالإضافة لذلك، فقد كانت هنالك أجزاء أخرى في المسجد، خارج المنطقة التي تضررت بالحريق، وكانت هذه الأجزاء بحاجة لتصليح، وقد بدأ العمل في إتمام إصلاح هذه المناطق.

---

*المصدر: القدس، ١٩٧٢/٠٨/٢١، ص ٣.

مثلاً شبابيك الواجهتين الشرقية والجنوبية، قسم كبير منها لم يحرق ولكنه كان بحاجة لإصلاح، وفعلاً تم إصلاح وتغيير وتجديد جميع الشبابيك في الواجهة الشرقية ومعظم شابيك الناحية الجنوبية.

كما أن اللجنة السابقة للإعمار قررت تغيير كل الجزء الشرقي ... نحن نعمل الآن على تنفيذ ذلك، وهذا التنفيذ يتم ببطء شديد، لأنه كان لا بد من الاتصال باللجنة السابقة المتواجدة في القاهرة، وكان لا بد من الاتصال بالمتعهد السابق في السعودية. من هنا فقد كانت المرحلة الأولية هي مرحلة مشاورات متينة واتصالات بهدف استكمال كل النواحي الفنية الضرورية والخرائط والرسومات والدراسات التي كانت موجودة في القاهرة قيد البحث والدراسة.

بعد أن استكملنا ذلك بدأنا في العمل في القسم الشرقي وبدأنا حفر الأساسات وقد تم حفر الأساسات اللازمة وفعلاً وصلنا إلى الصخر الذي يقوم عليه المسجد الأقصى المبارك والآن جاء دور تركيب الأعمدة الجديدة.

وللأعمدة قصة، فهي غير متوفرة في بلادنا، ولا يوجد مصدر عربي لتزويدنا بمثل هذه الأعمدة لذلك لجأنا إلى إيطاليا فمثل هذه الأعمدة متوفرة هناك، وبعد اتصالات قامت بها الهيئة الإسلامية مع القنصلية الإيطالية في القدس، تبرعت الحكومة الإيطالية بالأعمدة المطلوبة.

ولم تنته حكاية الأعمدة، فقد كان دورنا نحن هو إعطاء المقاسات والمواصفات فقط وإرسال ذلك إلى الحكومة الإيطالية... وهذا يحتاج إلى مراسلات تستغرق وقتاً ليس بالقصير، كما أنه كان من الضروري أن يتابع المهندس المسؤول هذا الأمر وهذا اضطره للذهاب إلى إيطاليا للتأكد من المقاييس والمواصفات وللتفاهم العملي على هذا الأمر.

مكثت معاملة جلب الأعمدة سنة ونصف ومرجع تلك الدقة والمهارة اللازمين لتجهيزها والأعمدة الآن موجودة في مكان العمل ويجري تجهيز القواعد والتيجان اللازمة لها.

يتبع ذلك مرحلة الزخارف لكي ينسجم الجزء الذي تحت التصليح مع الأجزاء الأخرى.

والزخرفة جزء منها يتم هنا بواسطة فنيين يرأسهم السيد داود عابدين وجزء منها لا بد أن نستعين لإتمامه بالخبراء المصريين.

- **سألناه أن يشرح لنا السبب في بطء العمل؟**
- أجاب المهندس عصام عواد

معظم الاتهامات التي ترد عن البطء في العمل تأتي من أناس لا يعلمون الواقع إطلاقاً.

يمكن لأي شخص أن ينظر من الخارج أو من بعيد – دون أن يكلف نفسه زيارة لموقع العمل – ويقول ماذا يفعلون لإعمار ما تلف من المسجد؟ ولكن إذا جاء أي شخص كائن من كان وزارنا في موقع العمل وعرف طبيعة عملنا فسيقدر الجهد الذي نقوم به، وسيعرف أنه لا تقصير هناك ولا بطء.

وقد يقترح البعض زيادة عدد العمال الفنيين. هذا الاقتراح يخرج من صاحبه بحسن نية.وهذا الاقتراح معقول في ظروف البناء العادية أو في أي عمل آخر أو بتجريد الأمر من معطياته التي تحكمة!

الحقيقة أننا نوظف ونستخدم العدد الذي يمكن أن يتحمله العمل، بمعنى أن أي زيادة في العمال قد تسبب حوادث وتسبب ارتباك في سير العمل .. إن طبيعة العمل الذي نقوم به لا يعتمد الكم بقدر ما يعتمد الكيف والنوع.

- **سألنا محدثنا عن اكتشافات وجدت خلال حفر الأساسات؟**
- أجاب: عندما ابتدأنا في الحفر وجدنا جدراناً مشابهة للجدران الموجودة في القصور الأموية. كما أن البعثات التي تنقب عن الآثار في خارج السور وجدت مشابهة لهذة الآثار وقال القائمون على هذه الحفريات إن ما اكتشفوه يعود إلى العصر الأموي والعصر البيزنطي ووصلوا أيضاً إلى الصخر. ونحن وصلنا أيضاً إلى الصخر .. حيث لا شيء يمكن أن يوجد تحت الصخر إلا الصخر.

وكان لنا لقاء مع السيد حسن طهبوب مدير دائرة الأوقاف وسكرتير لجنة الإعمار.

طلبنا منه أن يعطينا أرقاماً عن مجموع الدخل الذي ورد للجنة الإعمار ومجموع النفقات

أجاب: –

الدخل الذي ورد لصندوق اللجنة المالية المسؤولة عن حفظ السجلات والأموال والتبرعات العائد لإعمار المسجد الأقصى يبلغ ١٢٠,٤٢٨ دينار.

مصادر هذا الدخل هي التبرعات المحلية التي تبرع بها المواطنون في الضفة الغربية وقطاع غزة وغيرهما.

بالإضافة إلى ٣٠,٠٠٠ دينار قدمت من الحكومة الأردنية. المصروفات بغت ٥٤,٦٨٠ دينار منها لمشروع الكهرباء ١١,٨٠٠ دينار ولمشروع مكافحة الحريق ١٤,١٥٣ دينار والباقي نفقات العمل في مواد بناء وأجور ورواتب الفنيين المتفرغين لإتمام الإعمار.

- **سألنا عن موعد انتهاء العمل؟**

أجاب بأنه يجب أن تعرف أن العمل في المسجد الأقصى وليس في بيت عادي، العمل الذي يجري هو حفظ لتاريخ وحضارة .. بالتالي لا يمكن أن نتخذ خطوة إلا إذا كانت متسقة مع أهمية ومكانة المسجد الأقصى.

وقال المأمول أن تنتهي المرحلة الإنشائية التي تعيد الجزء الذي يجري إصلاحه إلى إمكانية استعماله للصلاة بعد سنة تقريباً.

أما الأعمال الأخرى التي تتعلق بالزخرفة وخلافها. فلا أستطيع تحديد وقت محدد لها لأنها تحتاج إلى دراسات وفنيين وخبراء.

- **سألناه، من الذي يشرف على الإعمار؟**
- أجاب: الذي يشرف على الإعمار لجنة خاصة تعرف باسم لجنة إعمار المسجد الأقصى ولها مكتب هندسي في القدس ومكتب آخر في القاهرة. وجميع الأعمال االتي ينفذها المكتب في القدس تتم بعد التشاور والاتفاق مع مكتب القاهرة.
- **سألناه عن الإمكانات المالية؟**
- أجاب: المبالغ المتوفرة الآن غير كافية ولكن إمكانية توفير المبالغ اللازمة لإتمام الإعمار على أتم وجه، إمكانية غير صعبة. ولن نتوقف عن إجراء ما يلزم كما تتطلب المصلحة.

وأخيراً قال لنا حسن طهبوب إن موقع العمل مفتوح لكل من يود الاطلاع، وليست لدينا أسرار ونحن نرحب بأي شخص ليتفضل ويطلع على سير العمل ويصل إلى النتيجة التي يريدها.

وكان لا بد أن نعرف ماذا تم في إعادة رسم منبر المسجد الأقصى الذي احترق في ذلك اليوم من آب (أغسطس) ١٩٦٩ خاصة وأنه كأثر إسلامي يعتبر تحفة فنية من أثمن وأدق الآثار الإسلامية العربية فناً

وصناعة وكان لنا في هذا الصدد لقاء مع الأستاذ الفنان جمال بدران خبير الزخارف العربية وقد كلف بإعادة رسم المنبر بعد أن احترق منه ما احترق وتبقى ما تبقى ونعتقد أن الأستاذ بدران لا يبالغ حين يقول أنه يتمنى أن يرى في حياته هذا المنبر يقف مكانة من جديد بكل روعة فنه وبكل ما يمكن أن يتركه للمستقبل البعيد من ذكرى تراثنا المجيد.

والأستاذ بدران حين يتكلم عن عمله في هذا المنبر يمد يده إلى قطعة صغيرة أو يشير إلى قطعة كبيرة أو يتناول صورة من مجموع الصور التي جمعها ليوضح دقة الفن في المنبر الأصلي.وقال أنه لذلك رأى أن يتم عمله في رسم المنبر كاملاً خلال أربع مراحل لا يعرف بالتحديد متى تنتهي.

وتشمل المرحلة الأولى التي أتمها فعلاً تجميع كل ما تبقى من أجزاء المنبر ودراستها وإعادة رسم كل قطعة منها.

أما المرحلة الثانية وتشمل البحث عن صور دقيقة للمنبر وقد أتم جمع العديد منها من الدومينكان والمتحف الفلسطيني ودار الآثار البريطانية وما زال يبحث عن صور أخرى تمثل أجزاء أخرى للمنبر لتكتمل لديه كافة الأجزاء التي التهمتها النيران وهو الآن يعمل في هذه المرحلة.

والمرحلة الثالثة ستكون أكثر صعوبة من المرحلتين السابقتين حيث إن الأستاذ بدران سيعمد إلى خبرته في إتمام هذا الجزء الذي أصبح واضحاً أنه لن تتوافر عنه مراجع وافية بالفرص أو توجد منه أجزاء بين ما أبقاه الحريق وسيقوم بتعميمها لتتمشى مع الأجزاء الأخرى للمنبر كما أن هذه المرحلة ستشمل إعادة أجزاء كثيرة حرقت خلال فترات الإصلاح السابقة وتعتبر دخيلة على العمل الأصلي.

وأشار الأستاذ بدران إلى إحدى القطع وقد بدا عليها ازدواجية العمل فعلاً فجزء منها متناسق مع الأجزاء الأخرى بينما الجزء الباقي يبدو فعلاً أنه دخيل على العمل الفني وقال إنه لولا الحريق لما اكتشف هذا الجزء لا لدقة الصنع والتقليد بل لأن أحداً لم يكن يلتفت أو يسعى للبحث عن مثل هذه الأشياء.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة وتشمل استكمال الكتابات لتكون كل الرسومات قد انتهت.

وهنا كان لا بد من سؤال عن كيفية نقل هذه الرسومات إلى الخشب وهل في الإمكان إتمام هذا الجزء؟!

وقال الأستاذ بدران وهو يتناول بيده قطعة صغيرة لا تزيد عن نصف سنتمتر في عرضها وقال إن هذه القطعة تتكون من قطعتي إبانوس وبين القطعتين قطعة ثالثة من العاج وذلك لتكوين خطين أسودين في وسطهما خط أبيض كما أشار إلى عدة مسامير وقال إن هذه المسامير مصنوعة خصيصاً من العاج إن العقل الذي فكر في هذه القضايا كان فعلاً يريد إنجاز عمل يبقى عصوراً طويلة ولذا فإن إعادة بناء المنبر يجب أن يتم بنفس الدقة والمقدرة وعلى هذا الأساس أقترح أن تعطى دورة كاملة للحفارين المحليين أو من الخارج في أصول الزخرفة العربية قبل البدء بالعمل ليستطيعوا نقل هذا التراث إلى الأصل الذي كان عليه في أول عهده.

وقال الأستاذ بدران أنه حتى لا يعرف بالتحديد ماهية الأدوات التي استخدمت أصلاً في إتمام هذا التراث الفني خاصة وأن العمل كان دقيقاً للغاية وأشار إلى عدة رسومات أمامه موضحاً كلامه وأضاف قائلاً إن خشب الأرز والابانوس قد استخدم في بنائه مما يوضح صعوبة العمل.

ولكن هل تمتثل الصعوبة في مرحلة الحفر فقط؟ سؤال وجهناه للأستاذ بدران عسى أن نعرف بعض الصعوبات التي تواجه عمله ..

فأجاب الأستاذ قائلاً إن الصعوبات التي واجهته عديدة منها مثلاً تجميع الصور أو تجميع الوحدات كاملة وقد يضطر إلى ذلك بالاستعانة بالصور من ناحية وبالأجزاء المتبقية من المنبر من ناحية ثانية حتى يستطيع التوصل إلى وحدة فنية كاملة.

وأضاف قائلاً إن الدهان قد أعاقه كثيراً حيث إن أجزاء كثيرة وجدها مطموسة بفعل الدهان مما اضطره إلى إزالة الدهان إلى الوصول إلى الشكل الأصلي.

وسألنا الأستاذ بدران سؤالاً أخيراً عن عدد القطع التي يتكون منها المنبر ..؟

وأجاب قائلاً: إن أجزاء المنبر تعد بالمئات ولم يحصها كلها بعد ولكنه قام بإحصاء الوحدات المثمنة فوجدها ٦٣ وحدة مثمنة وكل واحدة منها تختلف برسومها عن الأخرى، وطبيعي أن كل وحدة تتكرر عشرات وعشرات من المرات كما هو معروف في فن الزخرفة الإسلامي العربي.

حقيقة .. وكما يقول الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

فإنه لا يمكن أن يقدر صعوبة العمل ودقته، إلا من يقوم به .. نحن اطلعنا عليه فقط فهالنا الأمر .. ونعتقد أنه سيهول الكثير غيرنا ممن يرافقون هذا الجهد أو يرون جوانب منه:

ومتى يكتمل العمل ... تكتمل معه الصورة الفنية الرائعة لجهود فنان معاصر.

في أثناء تجوالنا في مكان العمل، استوقفنا منظر أربعة من الرجال كبار السن ينحنون وبيدهم آلات دقيقة يحفرون بها الجبصين .. والتقينا بالمسؤول عنهم، السيد داود عابدين.

تكلم السيد داود عن طبيعة عملهم

نحن نقوم بتجديد وبناء شابيك مشابهة لتلك التي تضررت بالحرق أو التي تلفت مع الزمن. وقال أنه يمارس الحفر منذ ٤٥ عاماً.

سألناه عن عدد الشبابيك التي تم إنجازها فقال ١٢٠ شباكاً.

وسألناه عن طريقة عمل الشابيك فقال يتم تصوير الشباك ثم رسمه على لوحة خشبية ثم تشكيله هيكلاً مقدماً من "الجبس".

وثم يتم الرسم على الجبس وبعد ذلك يحضر الجبس وفي المرحلة النهائية يتم تركيب الزجاج الملون عليه.

وعن أعماله الأخرى قال:

أقوم بتشكيل نماذج من الجبس لقواعد العمدان الرخامية ولتيجانها لتكون نموذجاً أمام "نقاش الحجارة" ليقوم بإعداد القواعد والتيجان.

العمل في إعادة وضع المسجد الأقصى إلى ما كان عليه شرف والذين يعملون هناك يشعرون بجلال المكان الذي يعملون فيه .. ويتصرفون مع ما ينسجم وهذا الجلال.

والذين يعملون هناك، ويعفرون جباههم بالغبار الطاهر المنبعث من الجدران التي يجري تغييرها، هؤلاء يساهمون في بناء تاريخنا والحفاظ عليه إنهم يعملون بصمت وبهدوء ... هدفهم فقط هو إعمار المسجد الأقصى .. لهم حق علينا أن نتعرف عليهم وأن نعرف القارئ بهم.

المهندسون:

إبراهيم الدقاق. عصام عواد

الرسامون:

يوسف بصبوص. عادل الجعبري

مراقب التعميرات:

الحاج حافظ الطحان

المنبر

الفنان جمال بدران خبير اليونسكو "إعادة تصميم "وبناء"

الحفر

داود عابدين. موسى الموسوس. علوي الطحان. أبو وهيب الدجاني.

قواعد وتيجان الأعمدة

سعيد أبو غزالة.سعيد الحلبي. عبد الحميد نبروخ. عبد الوهاب نبروخ. طه المالحي.

رؤساء الورش

نادر إشتية. عرفات الدباغ.

المستودع

تيسير سميرة.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx